الخطاب النّقدي العربي المعاصر وشرطية السّياق المعرفي

Contemporary Arab Literary Criticism Discourse and Cognitive Contexts

سليم حيولة.[1]

تاريخ الإرسال: 2022/10/22	تاريخ القبول:2022/12/30	تاريخ النشر:2022/12/31

الملخص:

إنّ تناول مسألة الخطاب النّقدي العربي في أصوله المعرفية وتحوّلاته الفكرية والمنهجية يُعدّ من أهمّ قضايا نقد النّقد باعتباره مسلكا يُعنى بمتابعة صيرورة الخطابات النّقدية وإنجازاتها في فهم الكتابات الأدبية، وإذا كان النّقد العربي المعاصر يستند إلى مناهج أوربية ذات أرضية فلسفية غربية تمثّلت الخطاباتِ الأدبيةَ الأوربية ونتيجةً من نتائج استقراء الأدب الأوربي، فإنّ العمل على استخراج أهمّ خصوصيات ذلك الخطاب في منشئه وتحوّلاته يحتاج إلى دراية خاصّة ودُربة غير قصيرة، تُمكّن من إدراك مختلف ما يُحيط به وما يَستلزمه، ولعلّ قضية مراعاة السّياقات المعرفية سواءٌ القومية أو الأجنبية في تناول الأدب بالدّراسة والفحص، لتُعدّ أهمّ المسائل الواجب أخذُها بعين الاعتبار في ممارسات النّقّاد، وهو ما تُحاول هذه الدّراسة توضيحَه مُنطلقة من الإشكالات التّالية؛ ما أهمية السّياقات المعرفية- والمقصود بها قضايا المنهج المتأثّر بأشكال المعرفة- في فهم الأدب؟ وهل تمّ أخذها بعين الاعتبار في الممارسات النّقدية العربية المعاصرة ؟

الكلمات المفتاحية: النّقد / السياق المعرفي / التّراث العربي/ الفكر الأروبي/ نقد النّقد

[1] جامعة المدية.haioula@yahoo.fr

Abstract:

Addressing the issue of Arab Literary Criticism discourse in its cognitive origins, intellectual and methodological transformations is one of the most important issues of meta-criticism, as it is a course of follow-up on the development of critical discourses and their achievements in understanding literary writings. If contemporary Arab criticism is based on European curricula with Western philosophical grounds, represented by European literary discourses, and one of the results of the European literature survey, working to extract the most important characteristics of that discourse in its origin and its transformations requires special knowledge and a long expertise that enables understanding the various aspects surrounding it and its requirements. The issue of taking into account cognitive contexts, whether national or foreign, in dealing with literature through study and examination, may be considered the most important issues to be taken into consideration in the practice of critics. The starting point of this study are following questions: How important are cognitive contexts - which are meant to be issues of the curriculum influenced by forms of knowledge - in understanding literature? Have they been taken into account in contemporary Arab Literary criticism practice ?

Key words:. Arabic criticism / Cognitive Contexts / Arab heritage / European thought / meta-critic

*** *** ***

تمهيد

إنّ البحثَ في مسائل المناهج النّقدية العربية المعاصرة يُحتّم علينا التّساؤل عن طبيعة هذه الممارسات وخصوصيّاتها الفكرية والحضارية، وكذلك النّظر إلى تأثّرها بالفكر الأوربي المتعالق بشكل وثيق بسياقاته المعرفية والإيديولوجيّة، وضرورة تطويع المناهج المنقولة والمقاربات الموظّفة في فهم الأدب، والارتباط بالسّياقات المعرفية العربية والمنظورات السوسيو-ثقافية، حتى يمكن لها أن تكون مُثمرةً وأن تؤدّي مهمّتها كاملة في تفسير الأدب

وتحليله، حيث إنّه و«**منذ أن وقع اللّقاءُ الأوّل بين مظاهر الحضارة الأوربية...أفرز تفاعلات عميقة في عمق الفكر العربي، دفعته للاقتناع بضرورة فهم ومعرفة حقائق العلم الجديدة، عبر الاتّصال بمنابعها وبلورتها بما يُناسب الو اقع السوسيو-ثقافي المحلّي**»[1]. فلم يبق النّقّادُ العرب بمعزل عن الثّقافة الأوربية الغالبة و(المتحضّرة)، وخصوصا أثناء الاستعمار، حين حدثت أولى عمليّات نقل مظاهر تلك الثّقافة، وأصبح من اللّازم على المشتغلين في هذا المجال أن يأخذوا بما كانت تُنتجه عقول مفكّريها ونقّادها انبهارا بها وتأثّرا حتميا بثقافة الغالب.

أوّلا: السياقات المعرفية وأهمّيّتها في فهم معاني النّصوص الأدبية ودلالاتها

إنّ ما يُميّز الواقعَ النّقدي العربي المعاصر هو طُغيان المناهج الأوربية التي تمّ نقلها في فترات مختلفة منذ بدايات تأثّر الثّقافة العربية بنظيرتها الأوربية، ففي سياق تاريخي تميّز بضعف أغلب البلدان، وتفكّك جلّ المجتمعات وتوقّفٍ لمختلف الإنتاجات الحضارية في الفكر والفلسفة والعمران والمعرفة، وبعدما كانت الأمّة العربية قد حقّقت أصالَتها في مجال النّقد الأدبي والكتابات الفنّية؛ في أجناسها الأدبية وطرق النّقد وإجراءاته، أصبحت الكتابة الأدبية تسير على منوال الأجناس الأدبية الأوربيّة في الشّكل والخصوصيات الفنّية وأيضا في المقاربات التي تستهدف قراءة الأعمال وتقويمها، وفي سياق حديث" شكري عيّاد" عن الأصالة في الكتابات الأدبية العربية يتساءل «**لقد اقتبسنا من الحضارة الغربية أشياء كثيرة أخرى، فهل حافظنا على"حقيقتنا" في هذا الاقتباس أو أضعناها؟...إذن فالمشكلة هي مشكلةُ حضارة، وهي مشكلةٌ بالغةُ الخطر، لأنّها في الوقت نفسه مشكلةُ وجود، ولكنّها مشكلةٌ واحدة**»[2]. فلم تقف نتيجةُ التّأثّر بالغرب والتّفاعل معه عند مسألة جدوى ذلك وأهمّيته في فهم الأدب، وإنّما تجاوزتها إلى التّساؤل عن التّأثيرات الحضارية لكلّ منقول، حيث إنّ النّقد الغربي تراكمَ عبر الزمن وهو نتيجة فكر خاصّ يتبطّن كلّ مظاهر الثّقافة الأوربية، كما أنّه نتاجُ بنية تاريخية؛ اجتماعية وإيديولوجية وسياسية ودينية لا

يُمكن فصله عنها، وفضلا عن ذلك فإنّ الثّقافة الغربية عموما تضبطها منظومة معرفية تشكّل –إلى حدّ كبير- تجانسا فكريا لا يمكن نُكرانها، كما أنّها معرّضة– في الوقت نفسه- لمراجعات متواصلة بحسب السياقات المختلفة التي تطرأ في مراحل تاريخية معيّنة، ويرى "شكري محمّد عيّاد" كذلك أنّه « **لابدّ من نفي العلمية والموضوعية بمعناهما الوضعي التّثبيتي المطلق، وإحلال مفهوم تاريخي محلّه. مفهوم يعترف بدور اللّحظة التّاريخية الاجتماعية الذّاتية في الممارسة العلمية، وأنّ هذه اللّحظة دائمةُ التّغيّر، تطبع القوانين العلمية، لأنّ الشروط الاجتماعية الفكرية المتغيّرة تسمح دائما بتغيّر إمكانيات البحث والخصائص الذّهنية للباحثين، بحيث يُعاد النّظر دائما فيما اكتُشف من قوانين، وقد تُلغي لحظةٌ تاريخية تالية ما اكتشفته لحظةٌ تاريخية سابقة، دون أن يؤدّي ذلك إلى انهيار القيم الإنسانيّة المستمرّة**»[3]. وإذا كان الأمر كذلك فما الجدوى من نقل المنظومات النّقدية وتطبيقها في فهم نصوص الأدب العربي؟ حتى وإن كان الأدب العربي الحديث أيضا نتيجةً من نتائج التّأثّر بالغرب في أجناسه وفي مواضيعه وخصوصيّاته الفنّية. لا شكّ أنّ المحور الأساس لعملية الإبداع ولعملية النّقد كذلك هو الإنسان العربي، فكيف هو مصير هذا الإنسان الذي يعيش مُنسلخا عن هويّته الثّقافية، مبتعدا عن خصوصياته الحضارية المتناغمة مع هويّته ؟

لكلّ ثقافة إنسانية خصوصيّاتُها وضوابطها التي تختلف بها عن غيرها من الثّقافات، وترجع تلك الخصوصية إلى عناصر قومية وتاريخية كامنة فيها ومتعلّقة بها، فعلى الرغم من أنّ الإنسان هو مَن أوجد الثّقافة واهتمّ بها، ثمّ عملت حوادث الزّمان ومتقلّبات العصور على تشذيبها وتطويرها لتُعطيها صفتها في عصر مُعيّن، وتجانسها عبر ما يلي من الأزمان، لذلك فإنّ لكلٍّ من الثّقافة الأوربية والثّقافة العربية قواعدُها الطبيعية وظروفها التّاريخية وتحوّلاتُها الاجتماعية الخاصّة، وهو ما يجعل عواملَ الاختلاف بينها أكثر من عوامل الاتّفاق، وبهذا كلّه يرى شكري عيّاد أنّ «**الفروق بين الثّقافات لا تزال قائمة، والثّقافةُ الأوربية لا تزال وحدةً متميّزة، يؤهّلها تقدّمها المادّي لأن تبقى متميّزة عن الثّقافات**

الأخرى. وإذا فكلّ تطوّر فيها يسير وفقا لآلياتها الخاصة»[4]. فلكلّ ثقافة رؤاها ومحمولاتها الفكرية التي تُميّزها عن غيرها، وقد نُظر لآدابِ كثير من الشعوب باعتبار خصوصياتهم التي تفرّق بينهم وبين غيرهم من الشّعوب، بناء على مكتسبات تاريخية وتحوّلات عقائدية وفكرية، حيث يُضيف عيّاد في هذه المسألة أنّه «**كان الآريون أقدرَفي شعرهم على وصف سرائر النّفوس، وكان الساميّون أقدرَعلى تشبيه ظواهر الأشياء...وهذا الفرق بين الآري والسامي في تصوّر الأشياء هو السبب في اتّساع الميثولوجي عند الآريّين، وضيقها عند السّاميّين، فليست الميثولوجي إلّا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوبَ الحياة، ونسبة أعمال إليها تُشبه أعمال الأحياء. وتلك طبيعة الآريّين فإنّهم كما قلنا قد امتازوا بقوة التّشخيص والخيال على الساميّين»**[5]. فالآريون يختلفون عن السّاميّين في العديد من الأمور، وهي اختلافات طبيعية نتيجة مسالك تطوّرات الأمّة وخياراتها التي لم تمرّ بها الشعوبُ الأخرى، نظرا لعوامل جغرافية أو سياسية ودينيّة وإيديولوجية متعدّدة، ومن جهة أخرى فإنّه وعلى الرغم من وجود نقاط الاختلاف أكثر من نقاط التّشابه بين الثّقافات كلّها، فإنّ الموّجهات الفكرية تبقى المرجع الأول والمحدّد الأساس لتجانسها، ففي أوربا نفسها قد نجد آدابا تختلف في خصوصيّاتها عن آداب أخرى، فبين فرنسا وألمانيا الكثير من الاختلافات الاجتماعية والدّينية والفلسفية، لذلك فإنّ آدابَهما تختلف في جوهرها على الرغم من كونهما أدبين أوربيّين يرجعان للموجّهات الثّقافية نفسها، والأمر نفسه بالنّسبة للأدب الإنكليزي والأدب الأمريكي فعلى الرغم من لغتهما المشتركة وهي الإنكليزية إلّا أنّ الأمريكي يتميّز بصفات قلّ نظيرها في الأدب الذي يكتبه الإنكليز، وتتعدّد الاختلافات وتطغى أيضا داخل المنظومة المعرفية الواحدة التي تشدّها فكريا، وفي هذه الحالة يرى سعد البازعي أنّ هناك «**شواهدُ كثيرة تؤكّد ما يذهب إليه هايدغر...بأنّ التّفلسف جزءٌ من التّكوين الثّقافي الأوربي..." إنّ "فيلوسوفيا" تُحدّد أيضا الملمحَ الأكثر جوهرية في تاريخنا الغربي- الأوربي". وإنْ نحنا حاولنا استكناه السببَ وراء ذلك فسنجده ماثلا في تاريخ العلمنة الثّقافية التي تراكمت على مدى أربعة أو خمسة قرون وجعلت الفلسفة**

مصدرا أساسيا للثّقافة الغربية، وعلى نحو لا نكاد نجده في أيّة ثقافة أخرى. فكثافة الميتافيزيقي/ الدّيني، أو الروحاني عموما، في ثقافة كالثّقافة العربية المعاصرة يجعل من الفلسفة والتّفلسف هامشيّين قياسا إلى الوضع في الغرب»[6]. فالتّراكم الذي شمل كلّ إنجازات المعرفة في أوربا مكّن من بروز خصوصيّات تميّزت بها مجتمعاتُها، دون أن نذهب مذهبَ الفكرة القائلة بأفضلية ثقافة على أخرى، فقد استقرّ في ذهن الكثير من الأوربيّين أنّ ثقافتهم متطوّرة وناضجة، والأدبُ باعتباره جزءا من ثقافتهم، فهو عندهم أقدرُ على نسج الأساليب الراقية وعلى التّعبير عن قضايا الإنسان والوجود، الأمر الذي كرّس مفهوم"المركز"و"الهامش"، حيث غدت الثّقافات غير الأوربية هامشية ومتخلّفة وناقصة مقدّرٌ لها أن تكون تابعة لا متبوعة، على الرغم من وجود شواهد عديدة على التّأثير الكبير الذي مارسته الآداب غير الأوربية (الشرقية؛ العربية والفارسية والهندية وغيرها) في الآداب الأوربية الحديثة والمعاصرة.

ثانيا؛ المنظومات النّقدية الغربية؛ الخصوصيات الحضارية والتّفاعل العربي

إنّ عمليّة التّفاعل مع الفكر الغربي بكلّ أشكاله ومظاهره لم تكن مأمونة الجوانب، فعلى الرغم من أنّ ظروفا مُعيّنة قد حتّمت حصولَها، فإنّها في حقيقتها بعدٌ عن خصوصيّات الأمّة وضوابطها المعرفية، حيث «**لم يقف الأمرُ عند حدود استثمار الإجراءات المنهجية...إنّما تعدّاه إلى التّطبيق الآلي لكثير من "الرؤى"و"الطرائق" التي أنتجتها الثّقافة الغربية في ظرف معرفيّ وتاريخيّ مُغاير، ممّا يجعل أمرَتطبيقها لا معنى له، إلّا في كونه ممارسة تفتقر، في كثير من الأحيان، إلى الوعي العميق بأهمية وضع أسس متينة لهذا الضرب من النّشاط الفكري والمعرفي**»[7]. فما تمّ نقله عن المنظومات النّقدية الأوربية لم يكن استراتيجيات قرائية وآليات إجرائية ومفاهيم طبيعية، وإنّما هو–في حقيقته- نقلٌ لفكر أجنبي مرتبط بسياقات اجتماعية وثقافية مختلفة عن السّياقات

العربية، لأنّ تلك المفاهيم كانت مرتبطة بالفكر الأوربي ومتعالقة مع موجّهات سوسيو-ثقافية مرتبطة بالفلسفة الأوربية وبالذّات أيضا.

فالنّقد الأوربي- كما سبق- هو في حقيقته نتيجةُ تراكم تاريخي ومعرفي للفكر الأوربي الذي يعود إلى اليونان وفلاسفتها الذين قدّموا آراء نقدية حول الأدب الإغريقي، فملاحم هوميروس وتراجيديات آيسخولوس ويوريبيديس وسوفوكليس وكوميديا أريستوفان وقصص إيزوب كانت تُمثّل المبدأ الأول الذي ينطلق منه النّقّاد الأوربيون في مساءلة النّصوص الأدبية، كما أنّه تمّ الاعتماد ومازال على أفكار أرسطو وآرائه فيما يتعلّق بالشعر والبلاغة، وقد تطوّرت الآداب الأوربية متأثّرة بالإغريق وما تزال الكثير من المفاهيم تعتمد على مفهوماتها التي وضعها "**أرسطو**" ثمّ غيره من النّقاد الذين جاؤوا بعده كـ" **هوراس**" و"**كانتيليان**" وصولا إلى الفرنسي "**نيكولا بوالو**"، وبالرغم من تغيّر الأفق الأدبي وتطوّره من الكلاسيكية إلى الرومانسية في قرون النّهضة ثمّ ظهور البنوية وما بعدها والدّخول في عصر مابعد الحداثة[8]، إلّا أنّ النّقد الأوربي ما يزال وفيّا لجوهره الفكري المنطلق من قضايا الإنسان والوجود، حيث « **وُلدت الحضارة الغربية من أبوين مختلفي الطباع؛ الكنيسة التي تحضّ الناس على التّطلّع إلى السماء حيث يجدون العوض عن شقائهم على الأرض، ونموذج الحضارة اليونانية الرومانية التي عملت كلّ ما استطاعت للرقي بالإنسان في مسكنه الأرضي وتركت آلهتها يختصمون على الأولمب. آثرت الحضارة الغربية هذا النّموذج الأخير... ولكنّها افتقدت الدّين، ولم تستطع قطّ- رغم كثرة إبداعاتها- أن تبدع كلّا منسجما من المسيحية والهيومانيزم**»[9]. فللفكر الأوربي خصوصياته التي لا يجب التّغافل عنها، خصوصا إذا تعلّق الأمر بدراسة الأدب المعبّر الفعلي عن عقليات الأمم وجوهرها الفكري والاجتماعي.

لذلك كلّه ونتيجة التّطوّرات التي حدثت في الفكر الغربي عموما والأوربي بخاصّة، ودخوله في عصر "الحداثة" مع ما حملته من قيم إنسانية (غربية في حقيقتها) جديدة، الذي أسّس

لمفاهيم جديدة حول الإنسان والفكر ومن مِيزته التّماسك والقوّة في مُجمل نواحي الثّقافة، ثمّ المرور إلى مابعد الحداثة التي أدّت إلى تلاشي المفاهيم الثّابتة التي أقرّتها الحداثة، والدّخول إلى عالم جديد من القيم الإنسانية أدّى إلى بروز العديد من المسالك النّقدية والاستراتيجيات القرائية التي لم يكن للأوربيّين وغيرهم عهدٌ بها، وهو ما يدلّ على تفاعل عناصر عديدة في تكوين مجمل الثّقافة الأوربية في تحوّلاتها المعاصرة، حيث «**قلبت العلومُ الإنسانية شروطَ الخطاب حول الأدب رأسا على عقب. فلقد جعل التّطوّر الذي طرأ على علم التّاريخ وعلم الاجتماع وعلم النّفس من الذّات الإنسانيّة موضوعَ التّحليل، ومن النّصّ الأدبي حيّز المعارف ووسيلة للمتعة الجمالية. وهكذا جنح النّقدُ إلى أن صار علما يجنّد إجراءات مرمّزة في التّحليل وثقافة مفهومية محدّدة**»[10]. فلا يجب النّظر إلى النّقد الأوربي باعتباره مستقلّا عن صنوف المعرفة الأوربية كلّها، بل إنّه شديد الارتباط بجوهرها الفكري وبمفاهيمها التي هي نتيجة من نتائج التّطوّر المعرفي في مجالات عديدة، وقد أثْرت المعارف الجديدة مُجمل الميادين العلمية والمسالك البحثية حول الأدب، فقد تأسّست العلوم الإنسانية والاجتماعية وتطوّرت مناهجُ مقارباتها وغدت من أهمّ المعارف المعاصرة، وهكذا ازداد ثراء المعرفة الأوربية، وأصبحت أوربا "ميتروبول" الثّقافة، ما جعل الكثير من الدّول والشّعوب تقصدها لتعلُّم ما شاء لها الله أن تتعلّم، آخذة معرفة مخصوصة بسياقاته الجغرافيّة، ومنه فإنّه «**وعلى رأس هذه المكوّنات الإيمان الغيبي المُتمثّل في الدّين من ناحية، والعقل التّجريبي المتمثّل في العلوم الدّقيقة من ناحية أخرى. وبما أنّ الطرفين يمكن أن يلتقيا عند البحث في قوانين العقل ومعنى الوجود، وهما الموضوعان الأساسيان للفلسفة، فقد كان للفلسفة دائما مكانها المحترم في الثّقافة الغربية**»[11]. وهنا يكمن الفرق مابين الثّقافة العربية ونظيرتها الأوربية، فبالرغم من القضايا الفلسفيّة التي تأثّر بها النّقّاد العرب وضمّنوها نظريّتهم في مجال الشعر إلّا أنّ ارتباط الثّقافة العربية في سياقاتها القديمة بموجّهات دينيّة وسياسية كان أكثر منه ارتباطا بالموجّهات الفلسفية، وهو ما يختلف عن النّقد

الأوربي الذي كان ولا يزال شديد الارتباط بالفكر الفلسفي وتحوّلاته المتعدّدة منذ عصر النّهضة، وتُعدّ التّفكيكية أو التّقويضية كما يُسمّيها البعض، التي وضع أسسَها الفيلسوف الفرنسي "**جاك دريدا**" من الأمثلة الواضحة التي تُبيّن مدى علاقتها بالموجّهات الفكرية والذاتية للفكر الأوربي، المختلف كلّيا عن الثّقافة العربية، حيث إنّ «**التّقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة النّقدية (المزدوجة) التي اتّبعها في مهاجمته الفكر الغربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر إلى يومنا هذا**»[12]. فالتّفكيكية جاءت موافقة لسياقات معرفية ولتحوّلات فلسفية واجتماعية هامّة حدثت في أوربا، واستقرّت في الدّرس الفلسفي الأوربي باعتبارها استراتيجية قرائية تستهدف تفكيك البنيات المفهومية والذهنية التي استقرّت في الثّقافة الأوربية بكلّ عناصرها وفي بنية المعرفة أيضا، وهي بشكل أو بآخر ردُّ فعل على تضخّم الثّقافة الأوربية، ونحن في ممارساتنا النّقدية نستعمل التّفكيك ونوظف مفاهيم "**دريدا**" في محاولة تفكيك مقولات التّراث العربي ونصوص الثّقافة القديمة، وهنا نكون أمام إشكالية منهجية ومعرفية، فلا يمكن أن يكون تراثنا القديم مماثلا للتّراث الأوربي .

إنّ النّقد العربي الحديث والمعاصر في تأثُّره الشديد والشامل بمسالك النّقد الأوربي يقع في إشكاليّة معرفية ومنهجية جعلته يفكّر بعقل أوربي حول مدوّنة أدبية مغروسة في جسد الثّقافة العربية لا توافق خصوصيات الأمّة وغير منطقية مع ما يجب أن يكون عليه تطوّره الاجتماعي والثّقافي، حيث «**إنّ تسارعَ إيقاع التّقدّم المطّرد لهذا النّمو المعرفي هو المسؤول عن تزايد الحاجة إلى تنوّع أنواع الموسوعة المتخصّصة والمعجم النّوعي في النّقد الأدبي كما في غيره من المجالات**»[13]. و"**جابر عصفور**" يقصد هنا عصر ما بعد الصناعة؛ أي عصر المعلومات وطُغيان مواقع التّواصل الاجتماعي وتأثيراتها المختلفة في المجتمعات الأوربية، حيث أصبح الأدب طاغيا من حيث نسبة المقروئية التي يتمتّع بها في تلك البلدان، وهو ما لا يُوجد مثيلٌ له في المجتمعات العربية التي ما يزال الأدب فيها بعيدا عن متناول طائفة كبيرة من النّاس، وذلك لأنّه لم يُصبح ظاهرة يومية مرتبطة بيوميّات

النّاس بعكس أوربا والبلدان الغربية الأخرى[14]، والمجتمعات العربية تأثّرت عميقا بهذا الواقع الجديد، لكنّ التّفاوت الموجود في البلدان العربية وعجزها عن ملاحقة الغرب في هذا المجال يجعلنا بعيدين عن السّياقات المتحكّمة في إنتاج الثّقافة، ويمكن أن نُدلّل على هذا الأمر بذكر مثال"الأدب التّفاعلي"أو "الأدب الرّقمي"، وهو من الأنواع الطاغية اليوم في المجتمعات المتطوّرة والتي يُصبح الكاتب فيها متّصلا بشكل مباشر ويومي بالقارئ، بينما ما يزال هذا المجال غير معروف بشكل كبير في ثقافتنا المعاصرة، ولا نُنكر تأثيرات هذا المجال على مجمل الممارسات النّقدية وتطوّرات التّنظير الأدبي والكتابات الإبداعية .

خاتمة

يُعدُّ البحثُ في مسألة نشوء المقاربات النّقدية ومسالك البحث الأدبي سواء في الثّقافة العربية أو الأوربية من المسائل الهامّة في مجال النّظرية النّقدية المعاصرة، والتي يجب أن تَأخذ في اعتبارها الأصول المعرفية التي ساهمت في ظهور منهج أدبي أو مجموعة من المناهج، وإذا كان النّقدُ العربي متأثّرٌ بشكل لافت بالنّقد الأوربي، فإنّ ذلك يعني وجود إشكالية كبرى تتعلّق بمدى مجانسة المأخوذ مع السّياقات المعرفية والاجتماعية العربية، والمتتبّع لقضايا هذه المسألة يلمح انشقاقا كبيرا بين واقع العرب وتطوّراتهم المختلفة وبين المناهج النّقدية الوافدة، وهو ما يطرح مسألة مدى شرعية تلك المناهج ونجاعتها في فهم قضايا الإبداع ودلالاته المختلفة، لذلك فإنّنا نذهب مع "عبد الله إبراهيم" فيما اقترحه من حلول من أجل الحدّ من مسألة عدم انسجام الخصوصيات الثّقافية العربية مع مناهج النّقد الأوربية المنقولة، حيث يرى بأنّه «**يؤدّي إغفالُ الجوهر الحواري في المعرفة الإنسانية إلى موقف لا يرى الذّات إلّا بئرا ناضبة، ولا يرى الآخر إلّا نبعا متدفّقا، وينبغي أن يُستبدل كلّ ذلك، بضروب متنوّعة من التّفاعل الإيجابي، وليس الانقطاع التامّ، أو الاتّصال غير المنظّم**»[15]. فانعكاسات هذا الواقع قد أدخلت الثّقافة العربية في مأزق وجودي جعلها تعيش تابعة لأوربا في إبداعها وفي نقدها، والحلّ- كما يرى "**إبراهيم**"- يتمثّل

في ضرورة مراجعة علاقات التّفاعل التّاريخية والمعاصرة بين العرب وغيرهم من أجل بناء قاعدة من التّفاعل المُثمر والنّافع لثقافتنا العربية وخدمة لتطوّر مداركها المعرفية المختلفة.

الهوامش:

[1]- عمر عيلان، النّقدُ العربي الجديد؛ مقاربة في نقد النّقد، منشورات الاختلاف. الجزائر، الطبعة الأولى. 2010، ص 12

[2]- شكري محمّد عيّاد، المذاهبُ الأدبية والنقّدية عند العرب والغربيّين، عالم المعرفة. المجلس الوطني للثّقافة والفنون. الكويت، العدد 177، 1993، ص 136

[3]- سيد البحراوي، البحثُ عن المنهج في النّقد العربي الحديث، دار شرقيّات، القاهرة، الطبعة الأولى. 1993، المقدّمة، ص 11

[4]- شكري محمّد عيّاد، المذاهبُ الأدبية والنّقدية عند العرب والغربيّين، ص 167

[5]- المرجع نفسه، ص 108

[6]- سعد البازعي، قلقُ المعرفة؛ إشكاليات فكرية وثقافية، المركز الثّقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى. 2010، ص 55

[7]- عبد الله إبراهيم، الثّقافةُ العربية والمرجعيات المستعارة، الدّار العربية للعلوم. لبنان، الطبعة الأولى. 2010، ص 59

[8]- على الرغم من ادّعاء الأوربيّين منذ وقت طويل بأنّ حضارتهم وثقافاتهم لم تكن سوى نتيجة من نتائج تواصلها مع الفكر الإغريقي، إلّا أنّ الواقع الفعليّ أثبتَ أنّ الحضارتين ليستا بالفعل متجانستين، وأنّ أوربا لم تبدأ إلّا في وقت متأخّر نسبيا بينها وبين الإغريق، لذلك يذهب "شكري محمّد عيّاد" إلى أنّ «**الحضارة اليونانية الرومانية تنتمي إلى حضارات البحر الأبيض، تأثّرت بها و أثّرت فيها، وجميعها و اقعة، من حيث الزمن، في إطار العالم القديم. أمّا الحضارة الأوربية فتاريخها يبدأ منذ ما سُمّي بعصر النّهضة...وهذه التّسمية الخاطئة (أو المغالطة) هي التي أوقعت في الأذهان أنّها استمرار للحضارة اليونانية الرومانية، في حين أنّ الذي بُعث في الحقيقة هو آثار اليونان والرومان...لكنّ هذه الذخائر بُعثت في مجتمعات مختلفة كلّ الاختلاف عن مجتمعات العالم القديم...والحقيقة الثّانية المهملة هي**

أنّ فترة الحضانة لهذه الحضارة الأوربية الحديثة امتدّت لأكثر من عشرة قرون. والتّاريخ الأوربي يعترف بأنّ أوربا خلال هذه الفترة الطويلة كانت منقطعة الصلة بالحضارة اليونانية الرومانية. ومع أنّه لا يُهمل هذه الفترة إهمالا كلّيا فإنّه يتجاهل أثرها في تكوين الشخصية الأوربية» يُنظر؛ شكري محمّد عيّاد، المذاهبُ الأدبية والنّقدية عند العرب والغربيّين، ص 140

[9]- شكري محمّد عيّاد، المذاهبُ الأدبية والنّقدية عند العرب والغربيّين، ص 143/ 144

[10]- مجموعة من الكتّاب، مدخلٌ إلى مناهج النّقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت. العدد 221 دانييل برجيز، تمهيد، ص 10

[11]- شكري محمّد عيّاد، المذاهبُ الأدبية والنّقدية عند العرب والغربيّين، ص 145

[12] - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليلُ النّاقد الأدبي؛ إضاءة لأكثر من سبعين تيارا نقديا معاصرا، المركز الثّقافي العربي. المغرب، الطبعة الثّانية 2003، ص 107

[13] - جابر عصفور، نظرياتٌ معاصرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب. مصر، 1998، مفتَتَح، ص 10

[14]- ترى الباحثة فاطمة البريكي أنّ الأدب يتأثّر بمجالات معرفية عديدة، خصوصا في عصرنا الحالي، وتُضيف **«ومع أنّ الأدب قد يبدو أشدّ أنواع الفنون بُعدا عن التّأثر بالتّطوّر التّكنولوجي، لما قد يُلمَح من اختلاف بين طبيعة ما تقدّمه التكنولوجيا، إلّا أنّه، في الواقع، قد تأثّر به تأثّرا بالغا، وقد يكون السّرّ في ذلك كون الأدب لصيقا باليومي، غير منفصل عنه؛ فهو يتأثّر به، ويُعبّر عنه»** يُنظر؛ - فاطمة البريكي، مدخلٌ إلى الأدب التّفاعلي،، المركز الثقافي العربي. المغرب، الطبعة الأولى 2006، تمهيد، ص 13

[15]- عبد الله إبراهيم، الثّقافةُ العربية والمرجعيات المستعارة، ص 60